الترادف في اللغة العربية

Masnal Zajuli

Jurusan Pendidikan Bahasa Arab Fakultas Tarbiyah IAIN Imam Bonjol Padang
Korespondensi: Jln . Mahmud Yunus Lubuk Lintah Padang

Abstract

Arabic has unique characteristics which are found in other languages. This makes Arabic a flexible language and has high of elasticity. As a result, in fulfilling and maintaining its function as a means for communication, a medium of delivering Islamic information, a tool for recording of knowledge, Arabic has been able to carry out them very well. However, due to its nature, discussing about Arabic cannot be separated from sounds and meanings since language is basically sounds which produced by the speaker to reveal his thoughts and feelings to achieve particular purposes. Sounds (lafaz) are limited while meanings develop in line with the development in science and technology. As a result, the more findings have been made, the more meanings are required to reveal the findings. In this context, the phenomena of single sound implies several meanings or one meaning required more sounds in Arabic are known as isytirak al-lafzi wa al-maknahu wa al-tuudad. Further and deeper studies need to carry out to avoid the possible mistakes in expressing meanings of Arabic words, especially those of the Holy Quran.

Kata kunci: لغة , ترادف

الكلمة يستوجب النظر في خصائصها المعجمية والتركيبية والصرفية والصوتية والبلاغية والدلالية. بخصوص ما يتعلق بظاهرة الترادف التي دعتنا إلى أن نأخذها بعين الاعتبار في إعطاء المعنى المقصود من اللفظ وذلك لأن الخطاء في اعطاء المعنى يفسد المفهوم الصحيح من العبارات.

وقد إختارنا هذا الموضوع للدراسة والتحليل لأهميته في كونه موضعا يمكن أن يتطور فهمنا للغة العربية بصفة عامة، وفهمنا لمفرداتها بصفة

مقدمة

قد اتجه العلماء أفكارهم نحو اللغة العربية في علومها وظواهرها، لأن هناك العديد من الأبواب اللغوية التي يجب أن تدريس دراسة دقيقة لما لها من أهمية، كما لها قضية من القضايا بالنسبة للفهم والتأويل. ومن المعلوم، أن البحث في بنية الكلمة أصبح اليوم بإمكانه أن يمس الكثير من الجوانب التي أغفلها النحو التقليدي بصفة عامة، وإما أنه لم يفصل بشأها، بحيث أصبح النظر إلى

خاصة. وذلك لأن قضية اللفظ والمعنى في اللغة العربية معقدة ومعقدة، وتطرح العديد من الأسئلة الجوهرية التي يدور حولها الخلاف حسب الآراء المذهبية و الأسس النظرية المستعملة في التحليل. فمن ناحية المفردات مثلاً: لها ظاهرة من الظواهر. يقول السيوطي: "بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة" (السيوطي: 1986: 379) هذه الظاهرة هي ما اصطاحه علماء اللغة بالاشتراك المعنوي أو الترادف. فالأكثر منهم قد ذهبوا إلى ممكن وقوع هذه الظاهرة في اللغة، وذلك: بأن يضع أحدهما واضح لفظاً لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادتهما المعنيين، وهذا أن اللغات غير توقيفيه. بجانب ذلك أن المعاني غير متناهية، واللفظ على عكسه.

إن خصوصية دراسة ظاهرة الترادف تتجلى أكثر في أنها باستطاعتها أن تزيل بعض اللبس والغموض في إعطاء المعنى من الكلمات. وذلك أن فهم هذه الظاهرة يعني فهم وتفسير مجموعة من الظواهر الأخرى التي لها صلة متينة بالكلمة وخصائصها المختلفة. بجانب وجود قضايا المعنى في اللغة العربية التي تحتاج إلى الدراسة والتحليل والتي تطرح العديد من الأسئلة الجوهرية التي مازال الخلاف يدور حولها، بخصوص ما يتعلق بالترادف. هذه كلها دفعتنا إلى البحث عن الترادف إزالة لبعض الغموض الذي يسبب الخطاء في فهم معنى الكلمات والعبارات العربية بخصوص

كلمات القرآن الكريم. لعل البحث يدافع القراء الكرام ومن يههم الأمر به في ترقية العناية نحو اللغة العربية بغية الحصول إلى اتقانها على أحسن ما يرام.

نحن نحاول في هذا البحث الدراسة والتحليل عن الترادف لنروم الجواب من الأسئلة: ما هي اللغة العربية، لماذا نحتاج إلى اللغة، وما هو الترادف وكيف وجوده في اللغة العربية، وما هي العلاقة بينه وبين الدلالة. نتمنى أن يكون البحث مفيداً لكشف المعلومات نحو الترادف في اللغة العربية كما يستفيد به القراء الكرام ومن يههم الأمر نحو أهمية عن الدلالة في إعطاء معنى الكلمات التي دخلت في هذه الظاهرة.

إن المسألة الأساسية التي تروم الدراسة والتحليل عنها هي: إطلاق معنى واحد لعدة كلمات في اللغة العربية نحن نريد أن ندرس ونحلل هذه الظاهرة اللغوية، راجعاً أن تكون الدراسة إزالة عن اللبس والغموض في إعطاء معنى الكلمات التي دخلت هذه الظاهرة، للرد على الأسئلة، ما هي اللغة العربية ولماذا نحتاج إلى اللغات، وما هو الترادف ووجوده في اللغة العربية وما لعلاقته بينه والدلالة.

حيث الدراسة والتحليل عن الموضوع السابق الذكر في معالجة بعض العلاقات المفترضة بين ظاهرة الترادف وظواهر لغوية أخرى ذات صلة وثيقة لها، راجعاً أن يكون البحث له فائدة لكشف المعلومات عن الترادف في ظاهريته وأهميته قليل تحديد المعنى من اللفظ الذي دخل هذه

بعد ما حدث سيل العرم ومن أمهاتهم كهلان وحمير. وأما العرب المستعربة فهم بنو إسماعيل الممتزجون بعد بالقحطانيين لغة ونسباً، المعروف بعدنانينين ومن قبائلهم ربيعة ومضر إياها وأمار، هذا التقسيم بقي الآن ما سمي بالعرب البائدة والباقية.

قد حرص علماء اللغة على أخذ اللغة متونها وأساليبها من الأعراب سكان البوادي. بوادي نجد والحجاز وهامة. وبصفة عامة عن القبائل النقية عن التأثير الأجنبي والسالمين من أفصح فساد السلائق ولجوها بمساكنة الأعاجم. يقول مصطفى صادق الرافعي: "إن قريشا كانوا أفصح العرب ألسنة، وأخلصهم لغة، وأعذبهم بياناً، وأهمهم قد ارتفعوا عن لهجات رديئة اعترضت في مناطق العرب، فسلمت بذلك لغتهم، وإنما كان هؤلاء القوم انضاض النبي صلى الله عليه وسلم من أعمامه وأهله وعشيرته". (مصطفى صادق الرافعي: 1973: 315)

قد تحدث عن اللغة العربية في نشأتها وتطورها وعلومها وأهمية معرفتها، كثير من العلماء والمتخصصين. وكان لكل عالم دوره ورأيه، اجتهدوا منهم نحو هذه اللغة. وذلك على وجود المزايا منها ما لم توجد في اللغة الأخرى.

إننا لو نظرنا بعدل وحكمة إلى هذه اللغة، لوجدناها أفضل وأشرف اللغات على الإطلاق وذلك لعدة أسباب منها:

أ- إن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم على النبي الأمي الصادق الأمين، بواسطة

الظاهرة كما يستفيد منه القراء الكرام ومن يهمه الأمر في نحو الكلمات العربية التي تحتاج إلى التدقيق قيل إعطاء معناها بمراعات الدلالة التي تدل على المعنى المقصود. بغية الحصول على المعنى الصحيح إزالة عن اللبس والغموض، ولا سيما معنى الكلمات القرآن الكريم.

اللغة العربية وحاجتنا إلى اللغة

قد اتفق الرواة أن اللغة العربية لغة سامية، وهي لغة منسوبة إلى سام ابن نوح عليه السلام التي نشأت منذ نشأة أبنائها في قلب الجزيرة العربية وبقيت كذلك مدة إقامة العرب داخل بلادهم. ولما أشرقت شمس الإسلام في هذه الجزيرة وما حولها، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وتشابعت الفتوحات الإسلامية، اختلطت العرب بالأعاجم، وامتزج بهم من المتعربين فزادت اللغة العربية انتشاراً وصارت لغة التخاطب والتعامل حتى يتكلم بالعربية غير العرب، واتجه أفكارهم في الدراسة عنها. وهي الآن من اللغات الرسمية في العالم، ستبقى أبدا الدهر ببقاء القرآن الكريم الذي نزل فلا شك أنها لغة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فيتعلمها المسلمون وغير المسلمين في أمور شيء.

اتفق الرواة وأهل الأخبار على تقسيم العرب إلى البائدة والعاربة والمستعربة، فالبائدة لم يصل إلينا أخبارهم إلا ما قصه الله تعالى في القرآن من أمهاتهم منهم عاد و تمهود. أما العرب العاربة فهم بنو قحطان الذين انتشرت في أنحاء الجزيرة

ج- إن اللغة العربية هي لغة الحضارة والتقدم والرقى والازدهار. والدليل على ذلك تلك الحضارة الإسلامية التي كانت في الأندلس في أواخر العصر الأموي، كان التأليف والتدوين والترجمة في مختلف نواحي العلوم الإسلامية واللغوية والأدبية والعلمية من فلك وهندسة وطب ورياضيات وكيمياء وفيزياء وغيرها من العلوم مكتوبة ومدونة باللغة العربية هذه كلها قد سجلها التاريخ.

مما لا شك فيه أننا نحتاج إلى اللغة في تعبير ما خطر في بالنا لسد لوازم حياتنا اليومية بغية الحصول على ما أردناه، وقد قيل "من عرف لغة قوم آمن من مكرهم" كانت الوظيفة الأساسية للغة، وسيلة من الاتصال في التعبير عن طريق الأصوات الكاملة. اللغة كما عبره محمود السعران "وأن ما توصله اللغة أو تنقله أو تعبر عنه، هو الأفكار والمعاني والرغبات والانفعالات. أو الفكرة بوجه عام" (محمد السعران : 1923: 12) في مجال التعليم مثلاً نحن نرى هذه الوظيفة في جمع عدة المعلومات الهامة في شتى العلوم بعدة اللغات.

إن اللغة وسيلة تسهل بها الفكر وتساعد على نموه. وهذا النمو قد تطورت اللغة نفسها، وذلك لأن التفاعل بين اللغة والفكر أمر لا نقاش فيه. نحن نفكر بجمل واللغة هي التي وعاء للفكر وبالعكس فلا يوجد الفكر إلا باللغة. وباللغة يسجل المؤرخون تاريخ الشعب، بهذا التاريخ

جبريل من عند رب العالمين. ولا شيء أفضل من القرآن الكريم، لكونه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. فمن تمسك به وعمل بتعاليمه، فله السلامة الأبدية في الدارين. كما أشار إليه قوله تعالى: يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين- قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" (يونس 10: 57-58)

ب- إن اللغة العربية لغة لغة باقية إلى يوم الدين، وذلك ببقاء القرآن الكريم الذي نزل بها. كما أشار إليه قوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". (الحجر: 15: 9) فاللغة العربية لغة القرآن الكريم، وأن الله تعالى هو الذي يحفظه عن التبديل والتحويل إلى قيام الساعة. إذن فاللغة العربية ستظل باقية إلى يوم الدين. فالمشكلة العارضة في هذه اللغة اليوم، بخصوص لمن يتكلم بها كلغة الأم، "أن العربية الفصيحة المكتوبة هي غير العربية المستعملة في التخاطب". (إبراهيم السامرائي: 1987 : 28) هذا معناه أن اللغة العربية الفصحى قلة الاستعمال في المحاملة اليومية حتى في الإدارة والجامعة. كما لاحظ الباحث في المغرب مثلاً، أن الدارجة قد غلبت الفصحى في المحاملة اليومية.

الإسلامي، وذلك بعد ما دخل الإسلام إلى الإندونيسية الذي حملته التجار من العرب والهنود تقريباً حوالي عام 1400 م. ثم اختلطت هذه اللغة بلغات أخرى على سبيل الاندماج والعنصري بين هذه الشعوب، واتصالها بالشعوب الأخرى عن طريق التجارة والعلاقات الدينية والثقافية مع العرب والهنود والصين. قد دخلت إليها كلمات الشعوب التي اتصلت بها، أكثرها الكلمات العربية التي تبقى حتى الآن. أما معظم الأندونيسيين يفهمون باللغة الإندونيسية كلغة قومية حيث هناك عدة المفردات من الأجنبية مثل العربية.

إن اللغة مادة تظهر المجتمع الإنساني على حقيقته، وهي وثيقة الصلة بالإنسان وبيئته، فاللغة لا تقتصر على كونها وسيلة من وسائل الثقافة، وإنما هي أساس كل نشاط ثقافي. ففي كل مجتمع تلعب اللغة دوراً ذات أهمية أساسية، إذ هي أقوى الرابط بين أعضاء هذا المجتمع وهي في الوقت نفسه رمز إلى حياتهم المشتركة، وفقاً بطبعة الإنسان على أنه مدني بالطبع، خلقه الله سبحانه وتعالى شعوباً وقبائل ليتعارف بعضهم مع بعض. إذن فاللغة هي نشاط اجتماعي، كما يقصد المجتمع الحصول على التعاون والمساعدة، وكذلك في إقامة الود والألفة بين المواطنين.

هكذا رأينا وظيفة اللغة في الحياة البشرية. ومن هنا تبين لنا أن معرفة اللغة لها أهمية كبرى في تحصيل ما أردناه من المقاصد واللوازم، التي نحتاج إليها في حياتنا دنيوية كانت أم أخروية بخصوص

المسجل نستطيع أن نجعله عبرة حتى نستفيد بما هو الخير، ونبتعد عما هو الشر. هذا هو الحكمة البالغة من التاريخ، كما أشار إليه قوله تعالى: "فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين" (البقرة: 2: 77) نكالا بمعنى: العقوبة أو عبرة مانعة من الارتكاب مثلها" (محمد حسين الحمصي: 1999: 10) وقوله تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب... (يوسف: 111:12)

هكذا شأن اللغة حيث لها علاقة قوية بحياة الشعب، وهي تساعد على نمو الفكر والتعبير عما خطر في البال، وفقاً بطبيعة الإنسان أنه مدني بالطبع يحتاج إلى معونة الآخرين ولا يمكن أن يعيش منفرداً. تبادل الآراء والأفكار بينه مدعاة إلى الوحدة الوطنية، حتى يتحقق رابط قوي يجمع الناطق بلغة واحدة. وكذلك أن اللغات المختلفة في الأمة الواحدة مدعاة إلى الوحدة في تبادل الآراء والأفكار بينهم. هنا نرى حكمة من خلق الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا. كما أشار إليه قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير". (الحجرات: 13: 49) فلا يتحقق التعارف المقصود إلا باللغة.

كان الترابط الدولي والقومي، ثروة لغزية مفردات اللغة. في اللغة الإندونيسية مثلاً، فاللغة الجوية هي التي شاعت في الجزر الإندونيسية وما جاورها، ثم حلت مكانها الملايوية في العصر

اللغة العربية، بجانب الوظائف السابقة الذكرى، فلا سبيل للمسلمين عدم الإتقان بهذه اللغة العربية، لأنها لغة القرآن الكريم ولغة الأحاديث النبوية. فلا سبيل لهم الفهم هذين المصدرين من التعاليم الإسلامية إلا بفهم هذه اللغة فهما جيدا، في علومها وقواعدها، ابتعادا عن الخطاء والغلط في فهم تعاليم هذا الدين الحنيف من مصدريها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

إن اللغة ترتقي برقي الإنسان وتنحط بانحطاطه. هذا معناه أن اللغة تتطور بتطور الإنسان، هكذا شأن جميع اللغات الموجودة في العالم. إذا كانت اللغة في المستوى العلمي، ستكون علمية وبالعكس إذا كانت في المستوى الجاهلي، ستكون جاهلية. إذن فاللغة ترتقي برقي الحياة البشرية، لأنها هي كالتاج في الأمم. فقد قيل: لكل مقام مقال هذا معناه: المقام هو الذي يشكل اللغة في التركيب. هنا تبين لنا جليا وظيفة اللغة ومكانتها في الحياة البشرية، معرفتها ذات أهمية كبرى لشتى مرافق الحياة، لأن باللغة ترتقي بحياة الشعب وهما أيضا تنحط. فما للإنسان أن يهمل ويتساهل بها أبد الدهر.

اللغة العربية ومميزاتها

تميزت اللغة العربية بالوضوح في مفردات ألفاظها، كما تميزت بذلك في تراكيبها، فإذا كان هناك لفظ واحد يختلف في مدلوله، فإن العربية حرص منها على الوضوح، وعدم اللبس

والغموض. تعمل جاهدة على وضع مميزات، وخصائص لتزيل بموجبها ذلك اللبس وتكشف هذا الغموض. وقال المستشرق الكبير بروكلمن: تمتاز لغة الشعر العربي بثورة واسعة في الصور النحوية (الإعراب)، وتعد أرقى اللغات السامية تطورا من حيث تركيبات الجمل ودقة التعبير. أما المفردات فهي فيها غنية يسترعى الانتباه، ولا بدع فهي تهر تصب فيه الجدول من شتى القبائل". (حنا الفاخوري: 1987: 25)

كانت اللغة العربية شفيعة التعبير، وذلك بأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ملتزمة بضوابط الإعراب. فقد حرص عمر ابن الخطاب رضي الله عنه على الأخذ بقراءة القرآن الكريم التي تعتمد على لغة قريش، واجتهد عثمان ابن عفان رضي الله عنه جمع القرآن ليكون المسلمون مجتمعين على قراءة واحدة نحو هذا الكتاب العظيم.

ومن مميزات اللغة العربية أيضا، أنها تتميز بالفني الصرفي الذي يجعلها تعبر عن مختلف الدلالات بلواصق صرفية مختلفة. أحيانا يكون لها معنى واحد وأحيانا أخرى تتعدد معانيها بحسب استعمالها. وهي أيضا من هذه الناحية لم يتم فيها توسيع المعنى بإضافة اللواصق الصرفية إلى الجذر، حتى تكون عبارة عن لواصق أو لواحق أو وسائط، ويمكن أن نشغل غناها الصرفي من أشياء أخرى كثيرة. ومن امتلاكها لأداتي التعريف والتكثير، واللواصق الزمنية والجبرية، ولأدوات النفي والإشارة وغيرها.

للغة العربية أن تدعى سيدة اللغات كمالاتها وجمالها وقوة.

اللغة العربية المحمّدة حظيت الفصحى منها عناية فائقة واهتمام كبير من غير أصحابها. واتخذوا للحفاظ على كيانها كل وسيلة، في التعبير بها بأجل البيان وأحسن الأداء. وذلك بمراعاة القراءة وفقا بأداء الحروف المطلوبة في مخارجها وصفاتها، فجاء ما يسمى بعلم التجويد أو علم الأصوات.

الترادف في اللغة العربية

قد جرت في اللغات الحية، منها اللغة العربية. أن الألفاظ تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو ذلك المعنى العام. فكلمة دليل مثلا، يقصد بها من يدل على الطريق أو من يطوف على السياق ليدلهم على الأماكن الجديرة بالزيارة إليها. وقد يراد بها الكتاب الذي بين دوائر السياحة في بلد ما، لدلالة الغريب على معالمة وآثاره. كما يقصد بهذه الكلمة الحجة المنطقية والبرهان لجميع هذه المسميات ينطبق عليها لكونها دالة لقاصدها. وإن كانت هي في ذاتها مختلفة. نحن نعتقد أن نتعدد معاني اللفظ ظاهرة لغوية نجدها في جميع اللغات الشائعة، لأن منشأها وسبب وجودها هو من طريقة تسمية الأشياء ووضع الألفاظ وهو أمر عام في اللغات الشائعة، هذه الظاهرة هي التي سماها علماء اللغة بالاشتراك.

وقد تمكنت اللسانيات العربية الحديثة من تحقيق كمية أساسية عند الباحثين في اللغة العربية من بلوغ درجة عليا في التنظير وحصر ظواهرها المختلفة، والتدقيق في المعطيات والنصوص القديمة. وذلك خلصت إلى مجموعة من القواعد التي من شأنها أن تضمن سلامة هذه اللغة باعتبارها لغة القرآن الكريم ولغة الأحاديث النبوية الشريفة، ولغة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. وهي لغة حية بقيت بقاء هذا الكتاب الكريم، والناس في مختلف الشعوب والأديان يدرسونها بأي غرض من الأغراض.

بالنسبة للمفردات، فاللغة العربية لها امتيازات. يقول السيوطي: "لأن لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسميات بالأسماء المترادفات. فأين هذا من ذلك؟ وأين لسائر اللغات من السمة ما للغة العرب؟" هذا ما لا يخفاء به على ذي بصيرة.

فقد اجتهد علماء اللغة العربية من التأليف وتصنيف في علومها وقواعدها، سواء كانوا من العرب أو العجم. واستفاد بها الدارسون بعد، دليلا واضحا على امتيازات هذه اللغة التي استولت على اهتمام علماء اللغات في العالم، وشدت إليها قلوبهم وأفكارهم، فوجدوا أنفسهم أمام لغة تسموا على كل لغة في الوجود. فحق

اعتبرت ظاهرة الترادف قبل الظواهر التي تلعب دورا كبيرا في توسيع اللغة وأغناها من حيث اللفظ والمعنى. وقد تم الربط بين هذه الظاهرة وبين مستويات لغوية مختلفة، من الناحية المعجمية والنحوية والدلالية والبلاغية، حتى الناحية الكلامية والفقهية. وهذا ما جعل أجزاء من التصور العربي القديم لهم لهذه الظاهرة مشتتة بين كل هذه المباحث من اختلاف أنواعها، وتباعد موضوعاتها ومصادرها. نحن نشير بهذا الشأن إلى أننا في هذه الدراسة سنرى الجانب النحوي والدلالي نظرا إلى دورهما الفعال لكشف معنى المقصود من الكلمة التي دخلت في الترادف. نشير هنا إلى أنه لم يعد ممكنا الآن دراسة لغة ما دون اعتبار لباقي اللغات الأخرى، كما أنه لم يعد بالإمكان الاكتفاء بالملاحظات الوصفية. لأن دراسة اللغة تستدعي الكثير من التدقيق، ولا سيما فيما يتعلق بالمفردات تبعا لرقى الحياة ورقى العلوم والتكنولوجيا.

والمراد بالترادف هنا هو أن تدل ألفاظ كثيرة مختلفة على معنى واحد. في علم الدلالة يدرس هذا الموضوع في إطار المشترك. وهو مفهوم يفيد وجود علاقة بين لفظين أو أكثر فيما يتعلق بالمعنى. وهذا الترادف له ضوابطه وحدوده التي لا يمكن أن يتجاوزها حتى لا يكون سلبيا في اللغة. ويثقل كاهلها بكلمات كثيرة تعني نفس المعنى. مع العلم أن اللغة مثل العربية في حاجة إلى كلمات جديدة للتعبير عن معان جديدة. كان الترادف في اللغة العربية يكون ممكنا

في بعض الحالات، ولا يكون كذلك في حالات أخرى. فالدلالة هي التي تدل على المعنى المقصود من الكلمة. فالاشتراك المعنوي له محددات وضوابط بنوية محضة إضافة إلى مبادئ عامة من شأنها أن التفسير هذه الظاهرة في جميع اللغات الإنسانية ممكنة باعتباره ظاهرة كلية .

فالترادف، أن يكون المعنى مشتركا فيه. في هذا الصدد نقل عدنان درويش ومحمد المصري ما قاله الإمام الشافعي: "يجوز أن يراد من المشترك كلا معنوية عند التجريد عن القرائن، ولا يحمل عنده على أحدهما إلا بقرينة ومحل النزاع إرادة كل واحد من معنويه على أن يكون مرادا ومناطاً للحكم، وأما إرادة كليهما فغير جائز اتفاقاً" (أبو البقاء: 1992: 119). بخصوص هذه الظاهرة اللغوية، نحن نحتاج إلى كثير من التدقيق، لأنها مرتبطة أساسا بعدة جوانب لغوية، كما ينبغي علينا أن نحتاط أثناء ربطنا للعلاقة القائمة من هذه جوانب. على سبيل المثال نرى الأمثلة التالية:

أ- شاهدت مقابلة في كرة القدم

ب- نظرت إلى الأمام

ج- رأيت رجلا

د- حملت في الرجل

هـ- راقبت الرجل

التصور القديم يجعل من مثل هذه الأفعال حالة على نفس المعنى، إلا أن الأمر ليس كذلك. بالرغم أن جميع هذه الأفعال تشترك في كونها

(+ حي) أو (- حي) كما أن يكون موجودا بالضرورة. فإنه يختلف عن الفعلين السابقين في كونه يقتضي أن يكون الشخص أو الشيء المرئي غير موجود في وضع مقابل للفاعل (يعني: للذي يرى). إذن، لتبسيط هذه الفكرة، نقول بتعبير آخر إن الشيء المشاهد في المثال (1-أ)، والشخص أو الشيء المنظور في المثال (1-ب)، ينبغي أن يكون أمام المشاهد أو الناظر. بينما الشيء الذي يرى لا يقتضي أن يكون أمام الشخص الذي يرى، فقد يكون بعيدا عنه أو خلفه.

بالنسبة للفعل **حملقت** في المثال (1-د)، فإنه من الأساسي أن نشير إلى أن فضلته (أي: مفعوله) يكون مركبا حرقيا، حرف الجر الوارد فيه هو الحرف في خلافا لما هو الأمر بالنسبة للحرف الوارد مع الفعل نظر في المثال (1-ب). وبالإضافة إلى هذا الاختلاف التركيبي، يختلف هذا الفعل عن باقي الأفعال الأخرى في المدة التي يستغرق الحديث زمنيا. هذه المدة في المثال (1-د) هي أطول زمنيا من المدة التي يستغرقها النظر أو الرؤية وأقصر من المدة التي تستغرقها المشاهد أو المراقبة.

أما المثل (1-هـ)، حيث مفعول راقب يكون (+حي) فقط. كما يكون اسما، وليس مربا حديا. وهو يختلف عن الأفعال السابقة بزمنها. كون المراقبة تستغرق أطول مدة زمنية ممكنة (أكثر حتى من المشاهدة). ما يمكن أن نستخلصه من كل هذا، هو: أنه ليست هناك خصائص دلالية

بالجهاز البصري (أي: بواسطة العين). في هذا التحليل سنحاول الكشف أن الاشتراك في المعنى يقتصر على أشرنا إليه قبل قليل، بخصوص الأفعال الواردة في الأمثلة (أ). وأنه فيما دون هذا فهو فكرة غير قائمة لوجود الاختلافات الدقيقة في معانيها. كذلك نعتقد أن اللغات لا تسمح بهذا النوع والتعدد في المفردات المعجمية فقط لإغناء المعجم (يعني مجموع المفردات لغة من اللغات). وإنما يكون الهدف من ذلك هو التمييز بين مجموعة المعاني الحقيقية التي يعبر عنها كل فعل من هذه الأفعال بمعزل عن الآخر.

ونحن نوضح هذه الفكرة على ضوء الأمثلة (1-أ - ب)، نقول إن الفعل **شاهد** في المثال (1-أ)، يقتضي أن يكون مفعوله عبارة عن مركب الحد (يعني اسم)، ويقتضي معنى هذا الفعل أن يكون الشيء المشاهد مفتقرا إلى السمة الدلالية (+ هي) وخصوصا (+ إنسان). وهذا يقتضي بدوره أن يكون الشيء المشاهد موجودا أمام المشاهد.

أما الفعل **نظر** في المثال (1-ب)، فهو يمتاز بكون مفعوله مركبا حرفيا مرئوسا بالحرف (إلى)، دون غيره من حروف الجر الأخرى. وهذه هي ميزة تركيبية تميز هذا الفعل عن جميع الأفعال الواردة من المثال (1). أما من حيث الدلالة، فيمكن أن يكون الشيء المنظور إليه موجودا أمام الناظر. كما هو الشأن بالنسبة للفعل (**شاهد**).

ثم إن الفعل (رأى) في المثال (1-ج)، الذي يكون مفعوله عبارة عن اسم، ويكون إما

أو التركيبية مشتركة بين جميع هذه الأفعال. كل ما هناك هو أن بعض هذه الأفعال قد تتقاسم بعض الخصائص الدلالية ، دون أن تتقاسمها بكاملها. بحيث قد يتشابهان في السمة (+ حي) أو في كون المفعول هو اسم، ولكن هذا لا مانع من وجود خصائص أخرى مختلفة بينهما.

بالنسبة للترادف في اللغة العربية، يكون ممكنا في بعض الحالات ولا يكون كذلك في حالات أخرى. وربما المعيق لهذا الإمكان أو ذلك هو السياق الذي ترد فيه هذه الألفاظ. ونظرا لافتقار الحقل الدلالي العربي لنظرية بارزة المعالم بهذا الصدد، يبقى مشكل المعنى مطروحا وغير محدود بما فيه الكفاية. كما أنه يكون مجالا خاصا لإصدار فتوى في غياب مقاييس دلالية مبنية على أساس علمية. لهذه الأسباب ولأسباب أخرى كثيرة لا نعرف بكيفية واضحة مسوغات هذا الضرب من الاشتراك.

في غالب الأحيان يكون هذا الترادف غير ممكن على مستوى المعنى، بحيث تقتضي البنية التي يظهر فيها اللفظ أن يكون هذا الأخير واسما لمعنى أو مخصصا له دون غيره من المعاني الأخرى. التي يعبر عنها بألفاظ أخرى. كما في الأمثلة التالية:

أ- صب الماء

ب- كب الماء

ت- رش الماء

ث- سكب الماء

هذه الأمثلة تظهر سطحيًا أنها تعني نفس المعنى. ولكن إذا بحثناها بدقة سنجد هناك الاختلاف المفترض بين المعاني التي تدل عليها هذه الألفاظ يمكن في الكيفية التي يستعمل بها الماء. فالرش مثلا يأخذ فيه الماء شكل قطرات متناثرة، خلافا للسكب ولباقي الألفاظ الأخرى. إذا هناك فروق دقيقة تجعل هذا المعنى مخصصا بهذا اللفظ دون غيره من الألفاظ الأخرى. بهذه الأمثلة يمكننا التمييز بين المعاني، استنادا إلى مفهوم السمات وإلى العبارات التي فيها هذه الكلمة.

هكذا تصورنا عن الترادف في اللغة العربية. ولذلك أن هذا نوع من الظواهر اللغوية بإمكان وجودها في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى الحية في العالم. ولكن قبل أن نأخذ بالحكم، علينا الفهم الدقيق مع مراعاة السياق والدلالة التي تدل على المعنى المقصود أو على الأقل تخصيص للمعنى. وذلك لأن اللغة تعتبر من ضرورات الحياة الإنسانية، لكونها وسيلة هامة في التعاقد والتعاون والتعارف بين بني الإنسان، فالدراسة على المعنى شيء هام أن تأخذها بعين الاعتبار. إزالة عن اللبس والغموض، ولا سيما كلمات القرآن الكريم التي فيها ظاهرة الترادف خدمة لهذا الكتاب الكريم لا ريب فيه هدى للمتقين.

إتماما للفائدة نقدم هنا كلمة تعد من الترادف ولكن إذا دققناها الفرق مثل كلمة "الجهل والسفيه" سنرى الفرق الدقيق بين معنى الجهل والسفيه، فلا يمكن أن نقول بين هما

أما السفهاء فقد هي الله إتيان الأموال إليهم وذلك لنقصان عقولهم كما في قوله تعالى: "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا". (النساء 4 : 4) فالمعنى من السفهاء في هذه الآية هو: "سيء التصرف". (محمد حسين الحمصي: 1999 : 77) وذلك لنقصان عقولهم. إذن هناك الفرق بين معنى الجهل والسفيه. فلا يمكن أن نقول بينهما مترادفان في المعنى بل لكل منهما معنى خاص. والله اعلم.

ونظرا إلى أهمية المقام في تحديد المعنى المقصود من العبارة ومن اللفظ المستعمل فيها، فالمعنى قد يتغير بحسب المقام. على سبيل المثال أستغفر الله. أستغفر فعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره أنا، الله مفعول به. والمعنى كما هو المفهوم يعني: الاستغفار إلى الله من الذنوب. ولكن قد تغير المعنى بتغيير المقام، وذلك من الدلالة على التعجب إلى الدلالة على السخط أو الإعجاب أو غير ذلك.

فيما يتعلق بعلاقة الدلالة بالتداف، فالسياق ضروري جدا في تعيين المعاني التي دخلت في هذه الظاهرة. وهو لا يقوم على كلمة تنفرد وحدها في الذهن، وإنما يقوم على تركيب يوحد ارتباط بين أجزاء الجملة. هذا الارتباط هو الذي يعين المعنى المناسب للفظ الذي دخل في هذا الصدد، سواء كان على طريق الأضداد أو على طريق المجاز. وذلك لأن الناس حينما يسمعون عبارة، ويكون فيها لفظ له دلالتان

مترادفان في المعنى. فالجهل عند الراغب الأصفهاني: "على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم. والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه. والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل". (الربيع الأصفهاني: 1998 : 109) أما السفيه فهو: خفة في البدن واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل، وفي الأمور الدنيوية والأخروية. فقيل "سفه نفسه وأصله سفه نفسه فصرف عنه الفعل". (الربيع الأصفهاني: 1998 : 60)

نجد في القرآن الكريم هاتين الكلمتين في عدة آيات منها قوله تعالى: "سيقول السفهاء من الناس ما و لا هم عن قبلتهم التي كانوا عليها..." (البقرة 2 : 123) والمعنى من السفهاء: خفاف العقول (المراد: اليهود ومن شاكلهم في إنكارهم هم تحويل القبلة) (محمد حسين الحمصي: 1999 : 22) وقوله تعالى: "وعباد الرحمن الذي يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما". (الفرقان 63 : 25) الآية دليل على وجوب مخاطبة من خلا نفسه من العلم بالتحية لا بالسخرية . وذلك من كامل الأخلاق وفاضل الصفات، كما أمر الله عباده أن يدفع السيئة بالتي هي أحسن، حتى يكون بين العداوة صديقا قريبا. كما في قوله تعالى: "...ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم". (فصلت 41 : 34) فالرسول صلى الله عليه وسلم لا تزيده شدة الجاهل عليه الا حلما.

مستقلتان، يعرفون أنه من الممكن استعماله في هذا المقصود أو في غيره. ومن هذا الخيال، نشأ ما يسمى بالاشتراك. فلا نعرف المعنى من هذا اللفظ إلا بالدلالة التي تدل على ذلك المعنى المقصود.

ويقول محمد منظور كما قدمه الأستاذ صلاح الدين الندوي الأزهري في محاضراته: "إن الكلمات لها أرواح يجب أن تضرب. الكلمة كالكائن الحي والكائن الحي له شخصيته، هذه الشخصية لا ترى في القواميس والمعاجم العربية، رغم وجود مترادفات. لكن هذه الكلمات التي يختار منها الأديب كلمة دون كلمة، فلا ترادف لها في عباراته أو في صيغ عباراته من حيث الصيغ. (صلاح الدين الندوي: 2001)

من هنا تبين لنا أننا لانفهم المعنى من الكلمة بدون الرجوع إلى عدة علوم تتعلق بهذا المعنى منها علوم اللغة التي تتعلق بظاهرة الترادف وكذلك بمعرفة الدلالة التي تدل على هذا المعنى المقصود. بالنسبة للغة العربية تعدد ألفاظ بمعنى واحد من مميزات هذه اللغة المحيطة التي هي لغة كتاب الله الكريم.

علاقة الترادف بالدلالة

بالنسبة للدور الذي يلعبه المقام في تعيين المعنى من اللفظ قال تمام حسان: "وفكرة المقام هذه هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يبنى عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه

المعنى الثلاثة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال. ومن المعروف أن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لايعطينا إلا معنى المقال أو المعنى الحرفي (تمام حسن: 1994: 337). إذن لمعرفة المعاني التي يمكن أن يدل عليها اللفظ الواحد، نحن نحتاج إلى فهم المقام الذي يقال فيه اللفظ المقصود، إضافة إلى معرفة الدلالة والشواهد التي تدل على ذلك المعنى. هنا تتجلى واضحة العلاقة الوطيدة بين الاشتراك والدلالة.

القرينة ذات أهمية كبرى في تعيين المعنى من اللفظ، لذلك فهم المقام على ضوء المقال شيء ضروري للوصول إلى المعنى الصحيح من العبارة. على سبيل المثال لفظ كل فعل أمر يتغير معناه إلى النهي بحسب المقام الذي يقال فيه هذا اللفظ. كقولك لابنك " كل التفاح لوحذك، لا تدع أخاك يأكله" هذه العبارة قالها الأب لولده وهو غضب عنه، لأنه خالف نصيحته. وهي ألا يأكل التفاح لوحده إلا مع أخيه. فالأمر هنا بمعنى النهي على حسب المقام الوارد في هذه العبارة.

ولو كان كذلك، إن الاعتماد على المقال فحسب لا يكفي في فهم اللفظ، دون النظر إلى المقام وإلى السياق من الكلام وإلى الدلالة التي تدل على المعنى المقصود. بل يؤدي أحيانا إلى الخطأ والغلط في الفهم. ولا سيما في فهم الآيات القرآنية التي فيها كلمات لفهمها يحتاج إلى المقام

من البحوث السابقة بالامكان أن نصل إلى الخلاصة التالية:

1. اللغة العربية تطورت بتطور الزمان والمكان، وهي بقيت ابد الدهر ببقاء القرآن الكريم الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وهذه اللغة الشريفة، وقد احتاج إليها المسلمون وغير المسلمين في أمور شتى، فصارت من اللغات الرسمية في العالم.

2. الإنسان مدني بالطبع، فلا يمكن أن يعيش مفردا بدون معونة الآخرين في التعبير ما خطر في باله لسد ما يحتاج إليه في تكميل لوازمه الدنيوية والأخروية، بغية الوصول إلى هذا المقصود فالإنسان في حاجة شديدة إلى اللغة، فلا سبيل له التخلص عنها بل عليه أن يتقن بها بأحسن ما يرام.

3. للغة العربية مميزات مالم يوجد في اللغات الأخرى، لأنها لغة القرآن الكريم التي يحتفظ بقائها ببقاء هذا الكتاب العظيم، من ناحية المفردات، فاللغة العربية معروفة بكثرة المفردات وسعة التعبير حتى تمكنت اللسانيات العربية الحديثة من تحقيق تمكنت أساسية عند الباحثين في هذه اللغة ببلوغ درجة عليا في التنظير وحصر الظواهر المختلفة كمثل الترادف الذي بحثناه.

والدلالة. على سبيل المثال ننظر ما حدث عند ما سمع اليهود في المدينة قوله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعف له وله أجر كريم (الحديد 57: 11)". فقالوا "... إن الله فقير ونحن أغنياء (آل عمران 3: 181) ..." نظرا إلى هذه الحادثة نفهم أن اليهود يعتمدون على المقال، ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم. المعنى من قوله تعالى: "يقرض الله" هو ينفق ماله في سبيل الله". (محمد حسين الحمصي: 1999: 538)

بجانب العلاقات الصرفية بين المفردات ومعانيها والدور الذي يعلب في تعيين المعنى المقصود من اللفظ، فالمستوى الاجتماعي أمر ضروري جدا لفهم المعنى الدلالي، فالذي يقول لفرسه عندما يراها، أهلا بالجميلة. يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته. فمقام توجيه هذه العبارة للفرس. هو مقام الترويض. وربما صحب ذلك ربت على كتفها أو مسح على جبينها. أما بالنسبة للزوجة فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي... فالوقوف هنا عند المعنى المعجمي لكلمتي أهلا و الجميلة وعلى الوظيفي لهما وللواء الرابطة بينهما لا يصل بنا إلى المعنى الدلالي ولا يكون وصولنا إلى هذا المعنى الدلالي إلا بالكشف عن المقام الذي قيل فيه النص".

الخلاصة

4. الترادف من ظاهرة اللغة وهو موجود في اللغة العربية حتى في اللغات الحية في العالم ولكن لا يمكن أن نقول هناك ترادف كلي بل ترادف جزء أو تخصيص المعنى. وذلك بعد الدراسة والتحليل عن الكلمات التي دخلت في هذه الظاهرة و استنادا إلى السمات والعبارات التي فيها هذه الكلمة وإلى الدلالة التي تدل على المعنى المقصود. في هذا الصدد نرى جليا علاقة متينة بين الترادف والدلالة.
8. محمد حسين الحمصي، تفسير وبيان مفردات القرآن (بيروت : مؤسسة الإيمان 1999 م)، ط 1، ص 10
9. سورة يوسف 12: 111
10. سورة الحجرات 13: 49
11. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي (بيروت: منشورات المكتبة البوليسية، 1987) ص، 25
12. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي الكلبيات في معجم المصطلحات و الفروق اللغوية تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت المؤسسة الرسالة 1992) ص 119
13. الرغيب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعها محمد خليل عيتاني، (بيروت: دار المعرفة، 1998 م)، ص 109
14. نفس المرجع، ص. 60
15. سورة البقرة 2: 123
16. محمد حسين الحمصي، (المرجع السابق)، ص 22
17. سورة الفرقان 63: 25
18. سورة فصلت 41: 34
19. سورة النساء 4: 4
20. محمد حسين الحمصي، (المرجع السابق)، ص 77
21. صلاح الدين الندوي الأزهرى، من محاضراته في الأدب المقارن، برنامج

المراجع

1. السيوطي، المظهر في علوم اللغة وأنواعها، (بيروت : المكتبة العصرية، 1986)، ج- 1، ص 379
2. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1973)، ط 9، ص 315
3. سورة يونس 10: 57-58
4. سورة الحجر 10: 9
5. ابراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، (بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، ط 4، ص 28
6. محمد السعمران: اللغة والمجتمع (مصر: دار المعارف 1923) ص 12
7. سورة البقرة 2: 77

23. سورة الحديد 57: 11
24. سورة العمران 3: 181
25. محمد حسين الحمصي، (المرجع السابق)
ص 538
- الدراسات العليا جامعة شريف هداية الله
الإسلامية الحكومية جاكرتا، 2001 م
22. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع،
1994م) ص 337